بسم الله الرحمن الرحيم

المشورة -31-

جواب الأسئلة (2 - 3 - 4)

الحمد لله ربِّ العالمين، وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على حبيبنا وقرّة أعيننا محمّد وآله وصحبه أجمعين:

السؤال الثاني: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، من خلال مفهوم العمل الروحي الإسلامي بأنّ المرشد الكامل رضي الله تعالى عنكم وعنهم أجمعين، الذي بلغ مرتبة الإرشاد الرّوحي، قد تزكّتْ نفسه الشريفة كاملة، ولكنّ حضرتكم الكريمة ذكرتم في مقطعين:-

الأوّل:- عن سيّدي حضرة الشيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، بأنّه بلغ عنده أحد السالكين مرتبة الإرشاد، لكنّه حصل له ما حصل فرجع كسالك في أوّل سلوكه.

والثاني: ذكرتم ما حصل لحضرتكم في صلاة الضحى، فكيف نفهم الأمرين؟

الجواب:

جزاكم الله تعالى خيرًا، الحمد لله ربّ العالمين، اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا وحبيبنا محمّد وآله وصحبه أجمعين، اللهمَّ إني أتبرّأ من حولي وقوّتي وألتجئ إلى حولك وقوّتك، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم.

لا يبلغ الإنسان المسلم السالك السائر إلى الله سبحانه مرتبة الإرشاد إلّا بعد أنْ تتزكّى نفسه من شرورها وسمومها، لكن كلمة تزكية كاملة، لا أظنَّ أنّ الإنسان يُوفّق في هذا، ولا أدري، فإنْ كنتُ أنا قلتُ هذا الكلام فأعتذر إليكم، وأتحفّظ منها، أي أنّه تزكّت نفسه تزكيةً كاملةً؛ لأنّ هذا يعني أنّه خرج من دائرة التكليف، ودخل إلى مستوى ملائكيّ، خرج من الإنسانية إلى الملائكية، وهذا لا أظنّ يقول به أحد، بمعنى إذا قلنا: إنّ هذا المسلم الذي بلغ درجة الإرشاد تزكّتْ نفسه 100%، بمعنى أنّه لم يبقَ عنده أيَّ توجّه نفسي، ولا أيّ دوافع نفسية، فهذا الحقيقة إنّني أتحفّظ على هذا الكلام، ولا أذكر أنّني قلتُ هذا القول، نعم أنتم تقولون، السائل الكريم يقول: إنّه فهِمَ أنّ المرشد هو الذي تزكّتْ نفسه تزكية كاملة، لكنّنا نقول تزكت نفسه غالبًا، وبمراتب عالية جدًّا، ولكن كاملة يعني حقيقة بالنسبة لي لا أدري، أنا أتكلّم عن نفسي، لم أفهم هذا الفهم لوصف المرشد، فالمرشد مسلمٌ موصول بالنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، بالإجازتين: الإجازة العلميّة، والإجازة الرّوحية، الله عزَّ وجلّ، جعل فيه بركةً، وجعل له تأثيرًا، ووفّقه سبحانه بالقرب منه، ورقّاه جلّ جلاله بفضله وكرمه أوّلًا، ثمّ بتقواه، هو العبد هذا، بتقواه وقربه من مولاه جلّ في علاه، ومجاهدته لنفسه؛ الله عزَّ وجلّ قرّبه حتّى نال هذا الشرف العظيم، وتحمّل هذه المسؤولية الكبيرة.

أمّا أنْ آتي وأقول: إنّه تزكّتْ نفسه تزكية كاملة، لم تبقَ عنده أيّ وسوسة نفسية، فالحقيقة هذا كلام أتحفّظ عليه؛ لأنّ هذا يُعارض أحكام الشرع الشريف، فنحن مصدرنا القرآن الكريم، حتّى من ضمنه السنّة النبوية الشريفة، فلولا القرآن

الكريم لما ثبتت الحجّة للسنّة النبوية، فالقرآن الكريم هو الذي أرشدنا بأنّ السنّة النبوية مصدرٌ من مصادر الشرع، وهذا واضح في نصوص كثيرة ومنها قول الله تبارك اسمه:-

{مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [سورة النساء: 80]

فطاعة الرسول أيْ: سنّة الرسول صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه العدول، أيْ طريقة الرسول في الحياة طاعة لله عزَّ وجلّ.

إذنْ هنا ثبتت شرعية المصدر الثاني، هذا نصّ واضح وجليّ في القرآن الكريم، وهنالك نصوص كثيرة، وهذا ليس موضوعنا الآن، ولكن هذا استطراد لأجل أنْ نعلم بأنّنا لا نوصي إلّا بما أرشد إليه الوحي الشريف، وأصل الوحي في القرآن الكريم، ثمّ بعد ذلك تثبت بقية مصادر الشرع الشريف.

فإذا قلنا: إنّ المرشد تزكّتْ نفسه، معناه أنّه صار من الملائكة، وما بقيت عنده نفس نهائيًّا، وحقيقةً هذا قول لا يقول به أحد، ولا أقول به، ومن قال بهذا القول أظنّ أنّه جانب الصواب وابتعد، نعم تتزكّى نفسه، وربّما يصل في بعض لحظات الأنس والقرب والتقوى لله جلّ وعلا إلى أنّه لا تحدّثه نفسه بأيّ شيء؛ ولكن طالما الإنسان في دار الابتلاء فمهما بلغ من المراتب العالية، وتدرّج حتّى في مراتب رتبة الإحسان؛ لأنّها أيضًا درجات.

وحتّى نقرّب بمثال: إنسان كان موظّفًا في دائرة، ثمّ بعد ذلك نُقل إلى ديوان الرئاسة، فديوان الرئاسة ليس كبقية الدوائر، ولكن هل الموظفون في ديوان الرئاسة كلّهم في درجة واحدة؟ طبعًا لا؛ فحتّى الفلّاح الذي في ديوان الرئاسة

أيضًا يأتي يقول: أنا أعمل في ديوان الرئاسة، وهو صادق، لكنّه فلّاح، ومدير مكتب رئيس الدولة أيْضًا يقول: أنا أعمل في ديوان الرئاسة، أو في الديوان الملكي إذا كان الحكمُ ملكيًّا.

فمَنْ قال: إنّ المرشد أصبح غيرَ مكلّف باعتبار أنْ ليس عنده نفس، فهو ليس مكلّفًا بـ (افعل، ولا تفعل) أو لا يقول هذا الكلام، وإنما يقول: إنّه تزكّت نفسه 100%، وبقي في دائرة التكليف، لكنّه معصوم، فهذا كلام غير صحيح، لأنّ العصمة لا تكون إلّا للأنبياء عليهم الصلاة والتسليم، والقرآن الكريم حينما تحدّث عن المتّقين وهم في أعلى درجات التقوى لم يبرّئهم من أنْ يحدُث لهم من الابتلاء ما يحدث لغيرهم، ولكن بنسبٍ متفاوتة، وبأوصاف ونتائج متفاوتة، فنقرأ في القرآن الكريم، بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} [سورة الأعراف: 201]

صدق الله العظيم، فواضح من الآية الكريمة أنّ الطائف يمسّهم، يعني أنّهم ما وصلوا إلى درجة ألّا يمسّهم الطائف، إذن {مَسَّهُمْ} أثبت أنّه مسّهم طائفٌ من الشيطان؛ ولكن ما هي النتيجة؟ هل ساروا مع هذا المسّ؟ هل انساقوا معه؟ لا، {تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ} مبصرون طريقهم في كيفية النجاة من آثار هذا المسّ، ومن الكيفيّات: التوبة النصوح مباشرة.

وفي آية أخرى أوضح، في قول الله تبارك وتعالى، بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} [سورة آل عمران عليهم السلام: 133]

ما هي أوصافهم؟

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} [سورة آل عمران عليهم السلام: 134]

إذن هم في درجة الإحسان، في هذه الأوصاف، نتيجتها أنّ هذا تقيّ بلغ مرتبة الإحسان، لأنّ الآية ذُيِّلت بالمحسنين، ما قال: الذين ينفقون في السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المؤمنين أو المسلمين، قال: يحب المحسنين، إذن هم في مرتبة الإحسان، فالتقيّ الذي بلغ مرتبة الإحسان هل يكون معصومًا لا يحصل منه إثم؟ لا، قد يَحدث، قد يحصل، ولكن الحصول هذا ضئيل قليل، وسرعان ما يدفعه هذا القليل إلى الوقوف في باب الجليل سبحانه، والاعتذار إليه والاستغفار والانكسار والتذلل، لذلك ذكر بعدها:-

{... وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ...} [سورة آل عمران عليهم السلام: 135]

إذن هم في مقام الإحسان لكن عندهم ذنب، ولكن هل ذنوبهم مثل بقيّة ذنوب العالمين؟ لا، تختلف في الأوصاف، وتختلف الدوافع، الفرق بينهم وبين المعصوم، أنّ المعصوم لا يَحدث له هذا، بينما هم يحصل لهم، ولكن غالبًا الله عزَّ وجلّ، يحفظهم، كيف يحفَظهم؟ يحفظهم إمّا بأنْ يُحيِي في قلوبهم معاني الحضور مع الله جلّ في علاه، والخجل والنّدم من الله عزّ شأنه، والمسارعة في

التوبة، أو أنّ الله سبحانه يهيّئ لهم مَنْ يذكّرهم، نعم يُهيِّئ لهم مَنْ يذكّرهم، وهذا من توفيق الله جلّ جلاله، وهذا من حسن نيّتهم، وأنّهم ما كانوا يخطِّطون للمعصية، وما كانوا يرتِّبون لها، نعوذ بالله تبارك وتعالى، وربّما وقعوا في المعصية بنيّةٍ صالحةٍ حسنةٍ، الله تعالى أعلم بما في قلوبهم، فلذلك الله تبارك اسمه يهيّئ لهم مَنْ يسدّد لهم، حتّى لو كان من أبنائهم، فسيّدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وأرضاه ورضي عنكم جميعًا، عندما استلم الإمارة وأصبح أميرًا للمؤمنين، وبدأ بردّ المظالم، وقصّته مشهورة، وتعب كثيرًا، وأوى إلى فراشه لينام، الله عزَّ وجلّ هيّأ له أحد أولاده، وهو أكيد أصغر منه، وأقلّ منه فِقْهًا، هذا أكيد، فطرق عليه وسأله: يا أبتِ! ماذا تفعل؟ قال: يا بني تعبتُ، وأريد أنْ أرتاح، في معنى هذا الكلام، هذا الذي قرأته في مراجع كثيرة من سيرة سيّدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه وعنكم، وكثيرٌ من أهل العلم، وحُقّ لهم أنْ يقولوا هذا، يعدّونه من الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم وعنكم، يعدّونه خامس الخلفاء الراشدين، أو سادس الخلفاء الراشدين، على تعدّد وجهات نظر المؤرخين، لكن والله تعالى أعلم، الذي يميل إليه قلبي هو: أنّه خامس الخلفاء الراشدين، لماذا يعدونه سادسًا؟ لأنّهم يعدّون سيّدنا الحسن رضي الله تعالى عنه، هو خامس الخلفاء الراشدين، ولكن سيّدنا الحسن ما تسلّم الخلافة، وما باشرها، نعم عُرِضَتْ له، لكنّه تنازل عنها، فكأنّها صارت بيده صحيح، ولكنّه تنازل عنها، فما نستطيع، في الحقيقة، أنْ نقول إنّ سيّدنا الحسن رضي الله تعالى عنه، صار خليفة 100% يعني مارس الخلافة مثلما مارسها سيّدنا عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه، أو كما مارسها

الخلفاء الراشدون من قبله، قبل سيّدنا الحسن بن علي رضي الله تعالى عنهما وعن آل بيت سيّدنا رسول الله الطيبين الطاهرين وصحبه المباركين.

فالولد هذا صغير، والوالد ما قصَّرَ، ولكن مع ذلك لأنّ مقامه مقام خلافة راشدة، فالخليفة الراشد المفروض أنّ أكثر وقته يكون لأمّته؛ فقال له:-

يا أبتِ! إذا جاءك الأجل، أو في معنى هذا الكلام، وهذه حقوق الناس، فكيف تفعل؟ فانتفض سيّدنا عمر بن عبد العزيز، وقام وترك النوم، وذهب إلى مكتبه للعمل، إنْ صحّ التعبير، وبدأ يعمل.

انظروا، الله هيّأ له ابنه، وقد يهيئ للمرشد تلميذًا من تلامذته، بل خادِمًا من خدّامه، وربّما يقول له: سيّدي، هذا الموضوع أرجو أنْ تنتبه له، ربّما أنت لم تنتبه له، ربّما له آثار سلبيّة، أكيد أنّ نيّتك صافية 100% تبتغي شيئًا حَسَنًا من وراء هذا التصرّف، ولكنَّ هذا التصرّف ظاهره يوحي بأنّه إثم، وأنّه انزلاق عن الطريق، فينتبه.

فهذا هو الفرق بين المعصوم وبين المحفوظ، المرشد محفوظٌ بإذن الله تبارك وتعالى، لأنَّ الله عزَّ وجلّ يهيئ له، ولكن قطعًا لا يقال: إنّه صار معصومًا لا تحصل منه معصيةٌ، ولا تحصل منه غفلةٌ؛ ولكن لأنّها قليلة جدًّا، وكما يقول علماء الأصول وأهل العلم، وأسأل الله سبحانه أنْ يفقهكم أكثر وأكثر، ويفقّه خادمكم أكثر وأكثر برحمته ومنّه وتجلّياته باسمه العليم جلَّ جلاله وعمّ نواله، إنّ القليل لا يحكم، الشيء القليل لا حكم له، والله أكرم مِنْ أنْ يعذّب عبده بذنوب قليلة، حاشا لله سبحانه، لذلك إذا زادتْ كفّة الحسنات على كفّة السيئات، كلّ السيئات طارت، فهل هي موجودة أم غير موجودة؟ لا، هي موجودة، ولكن

لأنّه بمجرّد شعرة واحدة، تحسين الظنّ بالله عزَّ وجلّ واجب، إذا كفّة الحسنات كانت أثقل من كفّة السيئات بشعرة واحدة طارت كفّة السيئات، وحتى إذا هذه ما طارت، إحسان الظنّ بإذن لله عزَّ وجلّ، وكما كان المنشدون ولا يزالون ينشدون، وهذه تذكّرنا بمُلّا ياسين رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المنشدين الذين رحلوا إلى ربّ العالمين، إلى أرحم الراحمين سبحانه، كان ينشد:-

(ولو الميزان يوم الحشر خَفَّتْ *** أنوار الشفاعة بِيها حفَّت)

صلّى الله تعالى على سيّدنا الشفيع، يعني: إذا خفَّ ميزان الحسنات وثقُل ميزان السيئات فإنّ ربّ العالمين برحمته لا يترك عبده المؤمن المتوجّه إليه، الذي يقول: لا إله إلا الله، سيّدنا محمّد رسول الله صلّى الله تعالى وسلّم عليه وآله وصحبه ومَنْ والاه، بصدقٍ وإيمان، ويموت على هذه الشهادة موقنًا بها، وربّ العالمين يدخله الجنّة، يريد أنْ يدخله الجنّة، فإنْ كانت حسناته تزيد ولو قليلا على السيئات فإنّ السيئات طارت، وذهبت وولّتْ، وإنْ كانت السيئات أكثر وأثقل، ولكن يوجد حسنات، ويوجد توجُّه إلى الله عزَّ وجلّ، فستأتي أنوار الشفاعة، وتحفّ بكفة الميزان، وحيثما حلّت هذه الأنوار ثقُلتْ موازين الطاعات، وصلّى الله تعالى وسلّم على سيّد السادات وآله وصحبه ذوي الفضائل والمكرمات.

فأرجو من السائل الكريم تصحيح هذه المعلومة، فالمرشد نعم تتزكّى نفسه، وأحيانًا يصل إلى مراتب عالية جدًّا من التزكية، ولكنّه طالما في هذه المرحلة من عمره، مرحلة الحياة الدنيا، فلا ينجو أبدًا من أنْ تنهض نفسه في لحظة من اللّحظات وتدعوه إلى إثم، أو تدعوه إلى تقصير، وقد يحصل، وقد لا يحصل،

ولكن حتّى هذا التقصير يختلف عن تقصير غيره؛ لأنَّه قد يكون مجتهدًا في أمرٍ ما، في هدفٍ ما، وأخطأ في الوسيلة، فالله جلّ في علاه، يهيئ له.

إذنْ نحن إذا عرفنا أنَّ هذه المعلومة تحتاج إلى تصـــحيح، فأعتقد أنّ الجواب صار واضحًا.

فالذي بلغ مرتبة الإرشـــاد عند سـيّدي حضـــرة الشـيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، هو ما صار مرشدًا، هو وصل إلى مرتبة الإرشاد، ولكن الذي يصـــل إلى مرتبة الإرشـــاد لا يكون مرشـــدًا إلّا بالإجازة، والإعلان عن الإجازة.

لماذا أقول لكم هذا؟ فأنا الآن قبل أنْ أتشـــرّف بكم، قرأت وِردي من معالم الطريق، وســـبْحان الله كنت قد وصـــلت إلى: (نِحْلَة الدجل والغش) نعوذ بالله تبارك وتعالى، وقصّة هذا الشاب الذي طلب السلوك من حضرة الشيخ قُدِّس سرّه، ولم يقبله حضـرة الشـيخ، وبعد ذلك ذهب في ناحيته، وعمِل تكية وقال: أجازني حضـرة الشـيخ عبد الله بالإرشـاد، ومشـتْ الكذبة على النّاس الذين هم على نيَّاتهم، بعد ذلك أحد أهل العلم ... إلى آخره.

واقرأوا القصة في "معالم الطريق" فضلاً لا أمرًا.

فالمرشـــد قد يكون كثير من الناس ربّما في ميزان الله عزَّ وجلّ، في مقام الإرشـــاد، بتقواهم وصـــدقهم مع مربّيهم، ولكن هل يجب على المرشـــد أنْ يُجيزَهم؟ هذا موضوع آخر، هذا موضوع يتعلّق بالمرشدين، نحن لا نتدخل به حقيقةً، هذه وظائف المرشـــدين، يوجد وظائف نحن ما لنا حقّ في التدخّل بها،

وأنا في كثير من الأمور أرى حضرة الشيخ عبد الله قُدِّس سرّه، يتصرَّف، وأنا أســـكت، ما أتكلم، ولا أتجرّأ أنْ أقول، فالأدب واجب، والتوقير واجب، وكَثْرَة الســؤال، نعوذ بالله تبارك وتعالى من كثرة الأســئلة، مدعاة للفتنة وعدم الفهم، فالأمور الأساسية التي تحتاجها موضحة لك؛ فالرسول عليه الصلاة والتسليم وآله وصــحبه الميامين، تركك على المحجّة البيضــاء، فهل معنى ذلك أنّه لا بُدَّ أنْ تعرف معنى كلّ كلمة في القرآن الكريم؟ لا، انظر يا بني، يا عزيزي، يا ثمرة فؤادي، يا فلذات كبدي، ســيّدنا عمر رضـــي الله تعالى عنه، وقف على المنبر في يوم من الأيام فقرأ:-

{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [سورة عبس: 31]

فقال: ما معنى الأبّ {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}؟ فالنّاس فوجئوا، هذا سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه، خليفةُ خليفةِ رسول الله عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه الكرام، المرشـــد الهُمام لا يَعرف كلمة {أبّاً}! فلم يُجَبْ، بعد ذلك رجع فقال: ما هذا التكلّف يا عمر! أيجب أنْ تعرف معنى كلّ كلمة في القرآن الكريم؟ فهل يجب أنّ كلّ وظيفة من وظائف المرشدين تعرف معناها؟ وكلّ تصرّف من حضرة خاتم النبيين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، تعرف معناه؟ أنا الآن أجزم، وأستطيع أنْ أحلف وما أحنث في حلفي، على ما أعتقد، أنْ لا أحد تجرّأ من الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، من سيّدنا أبي بكر رضي الله تعالى عنه، إلى أصغر واحد من الصحابة، لا أحد تجرَّأ وقال للنبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم ما معنى:-

{عَبَسَ وَتَوَلَّى} [سورة عبس: 1].

ولا أحد تجرَّأ وقال: يا سيّدي يا رسول الله ما هو قولك:-

(إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي) الإمام البيهقي رحمه الله عزّ شأنه.

فهذا موضوع يتعلّق بحضرة النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، فهل يجب أنْ نعرف كلّ شيء؟ لا، الذي نحن مكلّفون بمعرفته، والذي نحن غير مكلفين أنْ نعرفه لا نعرفه:-

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ ...} [سورة المائدة: 101]

فهذه أحوال، أحوال تختلف من إنسان إلى إنسان، أحوال تختلف من متوجّه إلى الله عزَّ وجلّ، في مقام إلى مقام.

وأخرى، وهذا السؤال الذي نُشِر على الموقع بعد أنْ أكملت الإجابة عليه، أحدهم يسأل عن مصطلحات أهل التصوّف وما إلى آخره، فأجبته، فاقرأوا الجواب وأمعنوا في الإجابة، بارك الله تعالى فيكم.

فملخص القول: هل تزكّت نفسه تزكية كاملة؟ الجوب: لا.

إنْ بلغ الإرشاد فهل يعني أنّه صار مرشدًا؟ الجواب: لا؛ لأنّه لم تصدر إجازته؛ فلو كان أحدهم في المرحلة الأخيرة في الكليّة، ويقول: أنا من الخرّيجين، إنْ شاء الله تعالى، هو كذلك، ولكن هل تخرّج؟ لا، لم يتخرج، وحتّى لو أكمل الامتحانات، وأخذ النتيجة وهو ناجح، فلا يتجرأ أنْ يقول: أنا تخرّجتُ، بل ينتظر الأمر الجامعي، والأمر الجامعي له لجنة ستتحقق من هذا التخرّج صحيح أم غير صحيح؟ يوجد تثبّت.

فإنْ كان في عالم الظاهر هكذا، ففي عالم الخفاء أشدُّ، هنالك -إذا صحّ التعبير- تصفية وتنقية، فهو بلغ مرتبة الإرشاد؟ نعم، ولكن لم يكن مرشدًا بعد، لم تصدر إجازته بعد، ما وصلنا إلى -إذا صحّ التعبير- إلى التنقية النهائية، فهو الآن على أعتاب باب الإرشاد، دخل مرتبة الإرشاد، لكنّه بعدُ ما صار مرشدًا، هذا أوّلًا، هذا التوضيح الأوّل.

التوضيح الثاني واضح: فالآن هو ما صار مرشدًا بالمعنى الشرعي الدّقيق المتعلّق بأنّ المرشد هو الذي تصدر إجازته، ويُعلن عنها، وتكون بخط الشيخ المجيز، اقرأوا هذا أيضًا في معالم الطريق، نظل نؤكّد ونقول: لماذا معالم الطريق؟ لأنّه، يا إخواني، وضعكم سيّدي حضرة الشيخ على طريق التحقيق، فجزاه الله سبحانه عنّا وعن المسلمين كلّ خير في الدنيا والآخرة، آمين يا رب العالمين، وبالتالي فهو ما زال في دائرة ما قبل الإرشاد، وربّما من باب المَجاز نقول وصل إلى الإرشاد، لم نقل: صار مرشدًا، وإنّما قلنا: وصل إلى مرتبة الإرشاد، ولكن لمَّا تصدرْ إجازته، فلمّا سمِعَ من هنا وهناك، سبحان الله، نهضتْ عنده النفس، انظروا كم هي خطيرة النفس! نعوذ بالله تعالى؛ لذلك سيّد الخلق صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه علّمنا:-

(اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) الإمام الطبراني رحمه الله سبحانه.

(... وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ...) الإمام الطبراني رحمه الله جلّ وعلا.

فأعتقد أنَّ الذي أُعلن عن إجازته، الحمد لله، مثلما كُتِبَ في معالم الطريق، قد طَبَّق وحقَّق للتدقيق، فجَمَع مَنْ شـــاء أنْ يأتي إلى جامع ســـيّدنا الإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنه، وشرّف هو قُدِّس سرّه، بحضوره وأخذ يتلو الإجازة بصوته المبارك الشريف، وناولها لسيّدي حضرة الشيخ طارق قُدِّس سرّه، ولِخادمكم أمام الملأ أجمعين، أمام ملأٍ لا يتواطؤون على الكذب، غير معقول أنَّه من الفلّاح إلى الأستاذ الجامعي، إلى العالم المشـــهور، إلى طلبة العلم، إلى موظفين في ديوان الرئاســـة، إلى موظفين في وزارات، إلى تجّار، ورجال أعمال، أنّ هؤلاء كلّهم يتواطؤون على الكذب، ويقولون: ســـعد الله كاذب، هو ليس مرشدًا، لم يُعلنْ أحد عن إرشاده، وما أعطاه أحد الإرشاد، إذن الآن سعد الله يختلف عن الأخ الذي ما ذكرنا اسمه، ولا نذكره بعد، أنّه وصل إلى مرتبة الإرشـــاد ولكنَّه قبل أنْ يجاز بالإرشـــاد رجع إلى ســـالك في بدايات ســـلوكه، فالوضع مختلف.

طيّب فسعد الله أراد أنْ يصلّي مثلًا (8) ركعات الضحى، أو (12) ركعة، نوى هكذا، فهل هو ينجو؟ هل هو ناجٍ من تسويل النفس له؟ ومن وسوسة النفس له؟ تقول له نفسه أنت اليوم قُمتَ بطاعاتٍ كثيرة، فاكتفِ بأربع ركعات مثلًا، فالآن هو في دائرة التكليف، قد تصـــدّه، تقوم النفس أحيانًا، ابتلاء، هذا عمل ربّ العالمين، الله عزَّ وجلّ يبتلينا، تزكّتْ النفس وتطهّرت، ولكن ما قلعت من الكيان الإنساني، الإسلام ما جاء لأجل تشويه صورة الإنسان وتغييره وقلب الإنسان مَلَكاً، أو قلبه جِنّيًا، لا، يبقى إنسانًا، إنسانٌ بكلّ مواصفاته، ويكون مكلّفًا بأنْ يكون منتبهًا، أنْ يكون مجاهدًا:-

(وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ) الإمام البيهقي رحمه الله جلّ في علاه

أو كما قال صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، ولكن غالبًا ما ينتبه سعد الله: هذه النفس قامت تتحرك، فينتبه، إنْ لم ينتبه، يأتي ينبّهه ابنه، الله يحفظه ويحفظكم، ما انتبه، يأتي ابنه، وأحد من أولاده، أو زوجته تنبّهه، فالله عزَّ وجلّ يسخّر له، والحمد لله ربّ العالمين، لماذا؟ لأنّه بكلّ صدق قالها، لا سمعة ولا رياء، وأنا والله أقبّل، أقبّل، أقبّل، أقولها ثلاث مرّات، كلّ واحد يسمعني الآن، أو يبلغه صوتي: أنّه لا عُذْرَ لكم إنْ رأيتم اعوجاجًا ولم تقوّموني.

وبالمناسبة أشكر كلّ أحبّتي، وكلّ طلّابي، وكلّ أحبابي، وكلّ المسلمين حينما ينبهونني على شيء، واللهِ عاجز عن شكرهم، عاجز عن جزائهم، أتضرّع إلى الله عزَّ وجلّ، أقول:- اللهمَّ اجزهم عنّي خير الجزاء، مَنْ دلّني على عيوبي، مَنْ أرشدني مَنْ قوّمني، يا ربِّ اجزه خير الجزاء، أنْتَ المطّلع على قلبي، وتعلم صدقي، يا إلهي اجزهم خير الجزاء.

وقلتُ وكرّرتُ أكثر مِنْ مرّة، قلتُ: الرواية أنّه سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه، المنسوبة له، أنا لا أعرف، ما حققت الموضوع، لأنّ هذا الشيء مشهور بأنّ سيّدنا عمر رضي الله تعالى عنه قال وغيره الكثير من الخلفاء ومن العلماء والمسلمين رضي الله تعالى عنهم: إنْ رأيتم اعوجاجًا فلم تقوموني، كأنّما يعتب عليهم لا عذر لكم عند الله، أو لن أسامحكم، أو مَنْ دلّني على عيوني، أو في معنى هذه العبارة على الأغلب، وخادمكم قُلْتُ لكم، ما قلت مَنْ دلّني، قلتُ: مَنْ أهدى إليّ عيوبي، حتّى تتشجّع يا فضيلة الشيخ، والله أعتبرها هدية من عندكم، لا تتركوني، الله تعالى يحفظكم.

فيا أحبّتي أرجو أنْ نُصحّح المفاهيم، فالمرشد ليس معصومًا، المرشد ليس مَلَكًا، المرشد في دائرة الابتلاء، نعم الحمد لله، تحدّثًا بنعمة الله، ونسجد سجدة الشكر لله سبحانه، أنّ هذه الوسوسة بسيطة وقليلة، وغالبًا ما يكون فيها نوع من الخير، سبحان الله، لأنّه كما قال الأكابر رضي الله تعالى عنهم، والمؤكّد أنّ هذا قول سيّدنا ابن عطاء الله السكندري رحمه الله جلّ وعلا:-

(رُبَّ معصية أورثت ذلًّا وانكسارًا خير من طاعةٍ أورثتْ عزًّا واستكبارًا)

نعوذ بالله تبارك وتعالى.

فهكذا قد يريد الله عزّ شأنه، أنْ يرقّي حال هذا العبد أكثر، فيجعله يتذلل أكثر، ينكسر أكثر، فتحدث له الهنّة والهنّات، حتّى يتذكّرها، ويندم، ويتضرّع، ويستغفر؛ لأنّه ربّما هذه الطاعات كلّها تتجمّع، أمّا منظره، فيقول: والله لا أحتاج استغفارًا، فأنا ما شاء الله، طاعاتي كثيرة، خيراتي كثيرة، عملي كثير، أنا ناذر نفسي لخدمة أمّة سيّد المرسلين عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، لستُ مطالبًا بأُكثر من هذا، فلا يكلّف الله نفسًا إلّا وسعها.

نعم، طبعًا ستأتي بالكثير من الأشياء لك وتضعها أمامك، بحيث تبتعد، لا، ربّ العالمين سبحانه، وقد ذكرتُ لكم أنّ أحد المسلمين سألني فقال: الطاعات ما أكثرها وغالبًا ننساها، ولكن الآثام دائمًا أمامك أعيننا، لماذا؟ لأنّ الطاعات ارتقت إلى ربّ الأرض والسماوات سبحانه:-

{... إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ...} [سورة فاطر: 10]

وهذه من البشـــارات لكم أنّك لا تتذكر كلّ طاعاتك، ولكن الذنوب تتذكرها، لماذا؟ حتّى تُكثِر من الاستغفار، حتى تنكسر، وتتذلَّل لله عزَّ وجلّ.

فإذن المرشـــد يحاول أنْ يعمل عملا، وقد تأتي النفس عائقة أمامه، حتى يكون مثالًا لغيره، أنّه كيف انتصر على نفسه، كيف استطاع أنْ يجاهدها، ولم ينصع إليها، وهو في كلّ مائة وسوسة قد ينصاع إلى وسوسة واحدة، ربّما، وهذا قليلٌ، والقليل لا حكم له، وإنّ الحسنات يذهبن السيّئات، وبالاستغفار والطاعات، ثمَّ بعد ذلك برحمة ربّ الأرض والسـماوات، فنسـأل الله عزَّ وجلّ أنْ يعمّنا برحمته وفضله، إنَّ ربنا سبحانه سميعٌ مجيب، هذا ما وفقني الله جلّ ذكره له في الجواب على هذا السؤال، ولعلّه يكون واضحًا.

السؤال الثالث: (السلام عليكم، جنابكم تحدّثتم عن المرشد الذي انتقل إلى دار التشريف بأنّه لا يكلّف، ولا عودة للإنسان إلى دار الدنيا، ولكن قد يعود إليها بمواصفات أخرى) فهل يمكن أنْ نفهم ذلك؟ الله تعالى يرضى عنكم.

الجواب: آمين ويرضى عنكم جميعًا، سؤال لطيف، يرُدّني إلى جلسة ذكريات مع سيّدي حضرة الشيخ عبد الله قدّس سرّه ورضي الله تعالى عنه، أروي القصّة والخبر الذي سمعته من شفتيه الشريفتين المباركتين رضي الله تعالى عنه وعنكم، قال: يا ولدي، كنتُ وزيرًا، ومساءًا وأنا جالس في داري، ظهر لي جدّي سيّدي غياث الدّين قدّس الله تعالى سرّه العزيز، تجسّد بشكلٍ نورانيّ.

بمعنى أنّه جسم لكنّه نور، يعني ليس لحمًا ودمًا، فهذا النور أحيانًا يظهر كإنسان يلبَس لباس الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم وعنكم، بملابس بسيطة جميلة ليس فيها تكلّفًا، ليس فيها زيادة، فقال لي: يا بني غدًا سيأتيك شاب من

الشـــمال فاعتنِ به، واقضِ حاجته"، وذكر اســـمًا أنا لا أذكره للأمانة، فيقول: سبحان الله، وبعد ذلك ذهب، ما بقي سيّدي غياث الدين، وأنا غدًا صباحًا ذهبت إلى الدائرة، أوَّل ما استقبلني السكرتير قلتُ له: أيّ شخص يأتي من الشّمال، طبعًا شاب من الشمال، أدخله عليّ فورًا ولا تؤخّره، ولا تسأله ما شغلك، عندما يقول لك: أنَا قادم أريد رؤية سعادة الوزير الدكتور.

أنا أقول هذا الكلام، هو ما قال قُدِّسَ سرّه هكذا، هو حتّى لأمانة النقل قال:

"أيّ أحدٍ يأتي يا بنيّ يقول لك: أريد عبد الله، فأدخله فورًا ولا تتوقف"

يقول: وأنا جالس أنظر في البريد، أرتّب ما يجب عليّ في الوظيفة، دخل عليّ شاب، السكرتير أدخله عليَّ، فرحّبتُ به، وأجلسته بجانبي، وقلت له:-

اذكر يا بنيّ حاجتك، ما هي حاجتك؟ قال: والله أنا من أســرة فقيرة، وكان جدّي رحمة الله تعالى عليه، صـــديقًا لجدّك، وأنا مقدّم على وظيفة مؤذن في جامع؛ ولأنّي ليس عندي شــهادة، فلا يعيّنونني، ولا أعرف ماذا أفعل، وأنا بحاجة إلى الوظيفة، وبحاجة للراتب.

فيقول: مباشـــرةً رفعتُ الهاتف على ســـعادة وزير الأوقاف، وفي وقتها كان الأستاذ أحمد عبد الستار الجواري رحمة الله سبحانه عليه، فقلت له:-

يا سعادة الوزير، عندي طلب عندك، لأنّي رأيته مؤهلًا، الشاب مؤدّب، كيف لا وقد جاء سيّدنا غيّاث الدين من الدار الآخرة يتوسّط له، فكيف يكون غير مؤهل لأنْ يكونَ مؤذِّنًا، فســلّمت على الوزير، وزير الأوقاف، وقلتُ له: رجاءً، يوجد شـــاب عندي يريد أنْ يتعيّن في محافظة أربيل، أو من المحافظات الشـــمالية،

مؤذنًا، فأرجو أنْ تبحث له عن جامع هناك وتعيّنه، قال: تأمر دكتور، دعه يأتيني، قلتُ له: ما معنى دعه يأتيني! الآن تصـــدر له أمرًا، وهو يأتي يأخذ الأمر ويتوكّل على الله، قال: تأمر، ليأتِ يأخذ الأمر، يقول: فقمتُ مع الشـــاب، وأكرمته، وقلت له: ابني، اذهب، وهذه أجرة الســـيارة، وهذه إكراميّتك، وهذه نقود ترجع بها إلى أربيل، وهذا مصروف لك، وأنا أشكرك، وأيَّ شيء تحتاجه في كلّ مرّة تعال إليّ، وإذا ذهبت هناك إلى وزارة الأوقاف وما أعطوك كتاب تعيينك موجّهًا إلى أوقاف أربيل تعال إليّ... فذهب، الله تعالى معه، ويبدو أنّه أخذ الكتاب وذهب.

فعودة إلى الحياة الدنيا لا تصح بالصفة البشرية، أيْ أنْ يعود مكلّفًا، ويحتاج إلى طعام الدّنيا وشراب الدنيا، فهذا ممنوع، لماذا؟ لأنَّنا نرجع إلى مصدرنا، فما هو مصدرنا؟ الكتاب الكريم، بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{... قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ۞ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَـــالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [سورة المؤمنون: 100]

فلا رجوع إلى الدنيا، لا رجوع إلى الدنيا، بقرينة {أَعْمَلُ صَـــالِحًا} يعني يوجد تكليف، ويوجد مجاهدة؛ لذلك أرجو دائمًا يا أبنائي أنّ نفهم النصّ الشـــرعيّ، ومتعلّق النصّ الشـــرعي، وعمق النصّ الشـــرعيّ، وظلال النصّ الشـــرعيّ، وإشـارات النصّ الشـرعيّ، العبارة نفهمها، والإشـارة نفهمها، والدلالة نفهمها، واقتضـــاء النصّ نفهمه، لا بُدَّ أنْ نفهم هذا العمق كلّه، فلماذا قال: {رَبِّ ارْجِعُونِ} لماذا؟ {لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا} انتهى التكليف، فروحك أخذوها وانتهى

التكليف بالنسبة لك، فكيف ترجع وتعمل مرّة أخرى تعمل صالحًا؟ لا يوجد تكليف، لا ترجع بهيئة إنسان مهيّئ لمرحلة الحياة الدنيا.

ولكن ترجِع روحًا، وتنظر إلى الدنيا، وربّما أيضًا تتصرّف فيها، فهذا موجود، وهذا ثابت، وترجع ربما أنتَ تدخل لي في حِلمي، أنتَ أتيت أيّها المتوفّى، ودخلت في حلمي، وأرشدتني في الحلم، واذهبوا واقرأوا كتاب "الروح" للشيخ ابن قيم الجوزية، واذهبوا وانظروا الشواهد الكثيرة على عودة الإنسان إلى الحياة الدنيا بطبيعة غير طبيعة البشرية التي يحتاجها الإنسان في مرحلة حياته الدنيوية، يصحُّ أنْ يعود إلى الحياة الدنيا، حتّى بعد وفاته، ولكن لا يرجع إلى دار التكليف هذه وبهذه المواصفات، واقرأوا في القرآن الكريم بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ۞ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [سورة البقرة: 72-73]

إذن يرجع، ولكن كمعجزة، الله تبارك وتعالى يُرجعه معجزةً، الله عزّ وجلّ يُرجعه كتذكرة للإنسانية أجمع، أنّه يوجد بعث بعد الموت:-

{أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [سورة البقرة: 259]

واقرأوا هذه وأمثالها من الآيات الواردة في القرآن الكريم، ستعطيكم الجواب على أنّ الإنسان يمكن أنْ يعود إلى الحياة الدنيا، ولكن هؤلاء كلهم يعودون إلى الحياة الدنيا إمّا من باب الإعجاز، كما رجع صاحب القرية {أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ} وأكثر المفسرين رضي الله تعالى عنهم وعنكم، يقولون هو سيّدنا عزير عليه السلام، نبيّ من أنبياء بني إسرائيل.

فيمكن أنْ يعود، ولكن غالبًا لا يعود بصفته البشرية، لا يرجع للتكليف، ولا يرجع ليأكل طعامًا أو يتزوّج! لا، ولكن قد يظهر في مكانٍ ما، سيّدنا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم في ليلة الإسراء والمعراج مرَّ بالكثيب الأحمر، ورأى سيّدنا موسى عليه السلام قائمًا يصلّي في قبره، قائمًا يصلّي في قبره، قال: لو شِئتم دللتكم مكانه:-

(... لَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ تَحْتَ الْكَثِيبِ الْأَحْمَرِ ...) الإمام البخاري رحمه الباري جلّ جلاله.

يعني: لو يوجد فرصة تسنح لدللتكم المكان الذي كان في الكثيب الأحمر يصلي فيه، فالقبر منزل من منازل الدنيا ومنزل من منازل الآخرة، أوّل منزل من منازل الآخرة، وآخر منزل من منازل الدنيا.

إذن يوجد تقارب في القبر بين الدنيا وبين الآخرة، وقيامه عند الكثيب الأحمر، وهو مكان من الدنيا، فهل المراد به داخل القبر؟ هل المراد به فوق القبر؟ انظروا أدب الصحابة رضي الله تعالى عنهم لم يسألوا النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، ولكن الأمر يحتمل أنْ يكون هذا، وأنْ يكون هذا.

إذن يعود الإنسان، ولا مانع من الناحية الشرعيّة من عودة الإنسان بعد انتقاله إلى الدار الآخرة، بل يعود إلى هذه الحياة الدنيا، ولكن ليس بالصفة البشرية كما في مرحلة الحياة الدنيا، بل صفة روحانية، صفة شفافية، صفة قوى مؤثرة، يعني ربّما تُحسّ بإحساس أنَّ روحًا فذّة فاعلة أثّرتْ عليك وأنت نائم مثلًا فأيقظتك من النوم.

أيضًا أذكر لكم صفحة من صفحات حياتي، كنتُ في عُمُر (15) سنة، أو (16) سنة، في بداية التكليف، أكثر من مرّة وأنا نائم أحسّ أنّ شخصًا يُوقظني من النوم، يتهيأ لي أنّه والدي الله تعالى يرحمه، أسأل والدي فيضحك، يقول: لا والله أنا ما أيقظتك، ومرّة واحدة، وأنا ما رأيت جدّي الشيخ عارف رحمة الله جلّ وعلا عليه في الحقيقة، لأنّه تُوفِّي قبل أنْ أولد، طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه، ولكن مرّة واحدة أحسسْت فِعلاً أنّه جدّي الشيخ عارف أيقظني لصلاة التهجّد، فقمتُ وأنا أنظر له، فقلت لوالدي: أبي! جدّي هكذا أوصافه؟ قال: سبحان الله، بالضبط، تصفه كأنّك تراه.

وأنا حتّى صورة جدّي إلى الآن لم أرها؛ لأنّه في وقتها لا يوجد كاميرات، ولم يأخذوا له صورة، ولكن عندما وصفته لوالدي قال: يا ولدي، تصفه كأنَّك عِشْتَ معه، ملامح وجهه، ولحيته الشريفة، وطوله، وابتسامته، وكذا وكذا.

حتّى أذكر أنّه لاطفني فقال: (جدي) سعّودي! سعّودي! نعم يحصل هذا، وهذا القدر يكفي إنْ شاء الله تعالى، في الجواب على هذا السؤال، ولا أدري إذا كان الجواب واضحًا أم غير واضح؟ إنْ شاء الله تعالى يكون واضحًا.

السؤال الرابع: إنّ المرشد الذي انتقل من دار التكليف إلى دار التشريف وقلتم: هو في الجنّة.

الجواب: مرّة أخرى، ومرّات، أؤكد عليكم، نبرأ إلى الله تبارك اسمه أنْ نأتي بشيء -نعوذ بالله سبحانه- لا دليل عليه.

أولاً: ما معنى المؤمن؟ أي المصدّق، المصدّق بماذا؟ التصديق بما في عالم الشهادة تصديقه سهل، ولكنّه المصدّق بما في عالم الغيب، في عالم الغيب الله جلّ وعلا ذكر صفة المتقين، أو صفات المتقين، في ثاني سورة من سور القرآن الكريم، سورة البقرة، بعد أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم:-

{الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ...}

[سورة البقرة: 1-3]

فذكر الصفة الأولى: يؤمنون بالغيب، فالإيمان بالغيب من صفات المتقين، وركن الغيب: أنْ تؤمن بكلّ ما يُخبر به ربّ العالمين جلّ جلاله، من الأمور السمعية، أو ما يَعِدُ ربّ العالمين سبحانه، من وعود مستقبلية، فمثلًا حينما تقرأ:-

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [سورة الكهف: 107]

عليك أنْ تؤمن وتعتقد بأنّ المؤمن يدخل الجنة، يجب أنْ تعتقد هذا الاعتقاد، وأنّ الله تبارك في علاه، لا يُخلف الميعاد، جانب آخر: ينبغي أنْ تُحسن الظنّ بالله عزّ شأنه.

{فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [سورة الصافات: 87]

(أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ) الإمام أحمد رحمه الفرد الصمد جلّ وعلا.

كما قال في الحديث القدسي الذي رواه سيّدنا النبيّ عليه الصلاة والتسليم وآله وصحبه أجمعين، عن ربه سبحانه، في هذه الظلال نهتدي ونسير، ولكن المحذور أنْ تأتي وتجزم، وتُقسِم، وتقول: واللهِ فلانٌ في الجنّة، واللهِ فلانٌ لا يدخل الجنّة، وهذا ممنوع شرعًا؛ لأنّه هذا من التألّي على الله عزَّ وجلّ، وعلى ما أذكر، يوجد حديث يقول:-

(أَنَّ رَجُلاً قَالَ وَاللَّهِ لاَ يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلاَنٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِى يَتَأَلَّى عَلَىَّ أَنْ لاَ أَغْفِرَ لِفُلاَنٍ، فَإِنِّى قَدْ غَفَرْتُ لِفُلاَنٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ) الإمام مسلم رحمه المنعم عزّ وجلّ.

وتوعّد سبحانه، أو كما قال صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم، هذا المتألي على الله عزَّ وجلّ، أنْ يَدخل النّار، نعوذ بالله تعالى، هذا هو المحذور شرعًا.

فنحن من باب الإيمان واليقين بوعد ربِّ العالمين جلّ جلاله، إذا كانَ الإنسان المُرشد الذي رأينا وشهدنا مجاهدته وخدمته لأمّة سيّدنا محمّد عليه الصلاة والسلام وآله وصحبه أهل الفضل والمجد، فلنا حَقٌّ أنْ نشهد له بهذا؛ فعندما نذهب إلى أبواب الجنائز نرى سيّدنا النبي صلوات ربي وسلامه عليه وآله وصحبه، كم مرّة ذكر، وذكر أعدادًا مختلفة ومتفاوتة إذا شهدوا للميّت يكون من أهل الجنّة، فقول: الخلق أقلام الحقّ، له نوع من الصدق هذا القول، لأنَّه:-

(مَرُّوا بِجَنَازَةٍ فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا فَقَالَ النَّبِيُّ صَـــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَـــلَّمَ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَـــرًّا، فَقَالَ: وَجَبَتْ... أَنْتُمْ شُـــهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)

الإمام البخاري رحمه الله جلّت قدرته.

ففي هذا المجال يصـــحّ أنْ تقول: نحن ظنّنا بالعظيم جلَّ جلاله، وصـــدقنا بوعد ربّ العالمين أنّ ســـيّدي حضـــرة الشـــيخ عبد الله طيّب الله تعالى روحه وذكره وثراه أنّه من أهل الجنّة، من باب أنّ الله عزَّ وجلّ، لا يُخلِف الميعاد، من باب تحســـين الظنّ بالله تبارك في علاه، من باب الشـــهادة لما رأينا وما شـــاهدنا، فحضرة الشيخ عبد الله لم يعِشْ قبل (200) سنة، وتروي الأخبار والكتب وأهل السير صورًا من حياته، لا، نحن شاهدناها أمامنا، صور عشناها أمامنا، رأينا الصدق، رأينا الوفاء، رأينا الحرص، رأينا الغَيْرَة، رأينا الحزن على هذه الأمّة، رأينا أشكالًا وأنواعًا من الخيرات والبركات.

ونحن نؤمن ونعتقد بأنّ ربَّ العزة سبحانه، يُكرِم سيّدنا حضرة الشيخ عبد الله قُدِّس ســـرّه، ويجعله في جنّات النعيم في مقام كريم، في مقعد صـــدقٍ عند ربّ العالمين عزّ شأنه، هذا إيماننا بوعد الله تبارك اسمه، وصدق خبرِ الله عزَّ وجلّ، وهذا حُســـنُ ظنّنا بالله جلّ في علاه، ونعوذ بالله لا نتألّى على الله عزَّ وجلّ، التألّي هو الممنوع شرعًا، إحسان الظنّ مطلوب، والإيمان بالغيب وما أخبر الله عزَّ وجلّ من أمور مستقبلية حقٌّ ومطلوبٌ، والله سبحانه أعلم.

وأرجو أنْ تكون الإجابات واضـــحة للإخوة الســـائلين، والإخوة الحاضـــرين والســـامعين، بارك الله فيكم، وبارك عليكم، ونفع بكم، ســـبْحانك اللهمّ وبحمدك،

نشـــهد أنْ لا إله إلا أنت، نســـتغفِرك ونتوب إليك، أعوذ بالله الســـميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم:-

{وَالْعَصْـرِ ۞ إِنَّ الْإِنْسَـانَ لَفِي خُسْـرٍ ۞ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [سورة العصر: 1-3]

صدق الله العظيم.

اللهمّ اجعلنا منهم وبهم وفيهم ومعهم يا ربَّ العالمين، وصـــلّى الله تعالى وســـلّم وبارك على خاتم الأنبياء وسيّد المرسلين، سيّدنا ومولانا وقرّة أعيننا محمّد وآله وصـــحبه أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين، والســـلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.